

المجلس الاعلى وسياسة التعليم

الأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

—•••••

أخيراً عاد والحمد لله مجلس التعليم الأعلى إلى الظهور بعد أن طال احتجابه وبعد أن طلبنا مراراً ونادبنا تكررراً على صفحات « الرسالة » النراء بضرورة إحيائه من جديد ليوجه التربة والتعليم الوجهة الصحيحة النافعة المثمرة . وإنه لجليل حقاً أن اضطلع بعضويته رجال ذوو خبرة ودراية كوزراء المعارف السابقين وآخرون من ذوى الفكر وحلة القلم، وهم جميعاً يتعاونهم جديرون برسم السياسة المستقيمة وتوجيهها للتوجيه الطبيعي القويم .

ولقد سبق إحياء هذا المجلس مؤتمر لرجال التعليم دام عمله ثلاثة أيام في شهر نوفمبر الماضى عقد فيها عدة جلسات وأقيمت عدة محاضرات ودارت مناقشات ومباحثات بين المؤتمرين عن أهداف التعليم وسياسته ، وأسدروا عدة قرارات كان أهم ما جاء فيها ضرورة العمل على خلق المدرسة الشعبية لتنضم أطفال الأمة جميعاً بين السادسة والثانية عشرة على أنقاض المدارس المتعددة الأساليب والمقاصد التى سبق أن نددنا بقيامها لما ينتاب الوالد من حيرة إذا أراد أن يلحق ولده بإحداها ولا تبعث فى نفوس أطفال البلد الواحد من غل وضيقية وحسد وسخيمة تكون عوامل جفاء وفرقة بين أفراد الشعب طوال الحياة . تلك هى المدارس الابتدائية والمدارس الأولية والمدارس الإلزامية والمدارس الريفية ومدارس رياض الأطفال .

قرر مؤتمر التعليم إدماج هذه المدارس جميعها فى مدرسة واحدة مدتها ست سنوات وأن تكون مرحلتها هذه خالية من اللغة الأجنبية ، وهو قرار حكيم طالما تقنا إليه ، وإنا نؤيده بكل قوانا لى مجلس التعليم الأعلى ولدى جميع المهتمين على التعليم تحضيفاً من حدة نظام الطبقات الذى لا تعرفه عقائدنا ولا تقاليدنا إلا فى المصور الأخيرة التى طنى عليها زيف المدنية السادية ، وصونا لوحدة هذا الشعب الذى مزقت وحذته اختلافات نواحى التفكير

واختلافات الوحدات والمقاصد ، فأصبح ترانه نهياً للمستمرين ولبعض السياسيين المحترفين الذين أشعلوا نار الخصومة والفرقة بين أفراد وأسره وجماعته ، وساعدهم على ذلك تكوين الناشئة فى مدارس متباينة فى الأساليب مختلفة فى الأوضاع والمقاصد .

وإنا وإن كنا حمدنا الله تبارك وتعالى لتوفيق المؤتمر إلى هذا القرار، إلا إنا كنا نرجو منه أن يوفق إلى أكثر من ذلك . كنا نرجو تأكيداً لفكرة الوحدة الشاملة أن يعنى فى قراراته بالقضاء على ثنائية التعليم التى تقضى بوجود نوعين متباعدين منه ، هما التعليم فى المعاهد الدينية والتعليم فى المدارس المدنية ، خصوصاً وقد تناول هذا الموضوع بالبحث أحد أعضائه . فإنها ثنائية ما أقصاها على شعب موحد اللغة موحد الماديات موحد التقاليد . ثنائية لا يعرفها شعب من الشعوب المتحضرة قد أدخلها علينا المستعمرون فى غفلة الزمان بل فى غفلتنا عن تقلبات الأيام ، دون مراعاة لحاجتنا الملحة إلى أساس نهضات الأمم من الاتحاد والوئام ، فكانت عاملاً قوياً من عوامل الفرقة الحقيقية بين المعلمين فى المعاهد الدينية والمدارس المدنية منذ فجر حياتهم التعليمية . ولن نجد هذا النوع من التفرقة فى بلد آخر غير هذا البلد . فهلا تزال مصر بلد المفارقات والمعائب ، وهل يصح أن نستمر على هذه الحال من السكوت على عوامل الفرقة وتركها تنخر فى عظام الأمة !

فإذا كان التعليم فى المرحلة الأولى بالمدارس المدنية سواء فى ذلك المدرسة المقترحة أو المدارس القائمة أصبح مجانياً كما هو الحال فى المعاهد الدينية ؛ وإذا كانت اللغة الأجنبية لن يبق لها وجود فى هذه المرحلة فى المدارس المدنية كما هو الحال فى المعاهد الدينية ، وإذا كانت هذه المعاهد الدينية قد أخذت من زمن بعيد بفكرة إدخال العلوم الحديثة جميعها فى مناهجها فإذا ببق بعد ذلك من فروق تستوجب هذه الثنائية المعقونة !

لم يعد هناك غير فارق واحد يستند عليه الأزهر وشيوخه فى بقاء هذه الثنائية ، ذلك هو إهمال المدارس المدنية للدراسة الدين دراسة علمية وعملية توحى إلى نفوس الأبناء بنور الروحانيات وجلالها وعظيم أثرها . إننا نعرف حقاً بأن المدارس المدنية قد

ما يتمخض عنه هذا الصراع . ولا أدري لماذا نميش عالة على آراء الغرب وتفكيره ، في حين أننا نجاهد في طلب الاستقلال . وهل هناك استقلال سياسي إلا إذا صحبه أو سبقه استقلال فكري ؟

وإذا كان مؤتمر التعليم قد اقتدى بالغرب القديم فانصرف انصرافاً عن الأخذ بجمل التعليم الديني في سلب مناهج المدارس المدنية وامتحاناتها كما يجب أن يكون ، وعن العمل للقضاء على ثنائية التعليم التي رسمها المستعمرون ، فإنا نرى في رجال المجلس الأعلى وهم البعيدو النظر من المفكرين ضحائاً كافياً لبحث هذين الموضوعين الجليلين بحثاً حراً غير متأثر بالسياسة القديعة في سبيل وحدة هذا الشعب وتقارب أفكار أبنائه وتعاونهم وانسجامهم في اتجاهاتهم المختلفة . أما الأزهر ورجاله وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر وهو من أعلام الأدب وقادة الفكر فبعد عن الظن أنهم يعارضون في فكرة التوحيد في صفوف الناشئة ما داموا يضمنون أن التعليم الديني سيأخذ سبيله المستقيم إلى المدارس ، وسيكون معنياً به كسائر العلوم الأخرى . بل اعتقد أن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر سيكون أول مناد بهذا التوحيد الذي أصبح من الضرورات الملحة في سبيل لم الشمل وتخفيف حدة المنازعات والمخاضات التي لا تخرج على هذا البلد غير الولايات والنكبات .

ولقد أحس بعض القادة والمثقفين بضرورة العناية صحيحة بالتعليم الديني في المدارس فتألفت لجنة في المركز العام للاخوان المسلمين للعمل على إحياء الروح الدينية الحقة في المدارس المدنية ، وجعل الدين من العلوم الأساسية التي يمتحن فيها التلاميذ امتحاناً حقيقياً لا صورياً حتى يأخذ حقه من عناية المدارس نظارها ومدرسيها وتلاميذها فيكون له أثره الفعال في النفوس . وإنا نأمل أن تلتقي هذه اللجنة تعاضداً من جميع الهيئات الإسلامية العاملة في مصر ، وأن يشد أزرها الكتاب والأدباء المؤمنون بالفكرة حق الإيمان والذين لم تلوث قلوبهم بالشبهات والزيف عسى أن تلتقي الفكرة ما تستحقه من عناية وتقدير في المجلس الأعلى وعند أولى الأمر جميعاً ، والله ولي التوفيق .

عبد الحميد فهمي مطر

الملفش بوزارة المعارف

تقدت هذه الروح فقداناً تاماً ، حتى وجدت عندنا طبقة من الكتاب والأدباء وطبقة من أصحاب النفوذ والسلطان لا يقدرון للروحانيات قدرها ولا يدركون أثرها !

وإنه ليؤسفني أن أقرر أن المدنية المادية التي سادها إلينا الغرب قد طغت على عقول هؤلاء جميعاً . غير أن الحرب الأخيرة التي استخدم فيها العلم شر استخدام لم تكن كلها شرّاً ، بل كان فيها بعض الخير لأنها نهت أذهان الكثيرين من علماء الغرب وأبناءهم في الشرق إلى أن ساسة العالم وقادته يجب أن يغيروا من عقليتهم القديمة ، وأن يفكروا تفكيراً جديداً يناسب ما أوجته هذه الحرب المدمرة إلى النفوس ، ويناسب ما أوجاه النصر في نفوس المنتصرين من غرور وجشع ، وما أملاه عليهم من سخرية بالوالتيق وهزم بالهمود وقضاء على حقوق الضعفاء ، وأثره ونهم وطمع استولت كلها على نفوس الأقوياء .

نعم إن هذه الحال التي أوجدها الحرب المدمرة وما تلاها من تصادم قوى بين الآراء الاستعمارية الجشعة التي زادت من تمكنها بين النفوس سكرة النصر والشفقة بالتسلط وبين الآراء الجديدة التي توحى بحرية الأمم والشعوب قد هزت الكثيرين من كتاب الغرب والشرق فنادوا بضرورة العودة إلى الدين ودراسته دراسة عملية بين جدران المدارس لأنه صمام الأمن الذي يهدي النفوس ويردها عن التلويح والظلم والطمع والفساد في الأرض حتى لا يكون تلويح الماديات سبباً في القضاء على المدنية القائمة . من أجل ذلك أئذنا رجال التعليم في مؤتمراتهم وأعلنهم بما يجره إهمال التعليم الديني والانصراف عن الروحانيات في أهداف التعليم وسياسته من استهتار بالفضائل في تكوين أخلاق النشء ومن إبتعادهم عن المثل العليا الروحية التي تربي القلوب ، والتي تشيع في صدور النور والهداية والتي تحفز النفوس أبداً إلى الرق والسمو وتملؤها عن مدنيات السادة ودناياها ، كما تحفزها إلى العمل أبداً للمثل العليا للفضيلة والأخلاق الكريمة . ولكننا مع الأسف لم نجد من المؤثرين سيمياً لأن قادة الشرق وزعماءه وكتابه لا زالوا سائرين على نسق الغرب وما يجري فيه . والغرب الآن لم يستقر على رأي ، ولا زالت الآراء والأنكار تصطرع فيه اسطرعاء . وقادتنا وكتابنا في انتظار